فى نكسة ١٩٦٧م
«الشاذلى» ينجح فى حماية قواته من العدو

مع حلول مارس ١٩٦٧م بدأت إسرائيل تحشد قوات عسكرية بالقرب من حدود سوريا، وبالبرغم من أن التهديد جاء لسوريا وليس مصر، فإن القيادات السياسية والعسكرية فى مصر أسرعت باتخاذ قرار الحرب ضد إسرائيل حماية لسوريا فى وقت كان من الصعب على الجيش المصرى أن يحارب على جبهتين فى وقت واحد، إحداهما فى اليمن والأخرى فى مصر لمواجهة إسرائيل العدو الشرس الذى يحتاج لمواجهته إلى استعدادت كبيرة ووقت كاف، ولذا لم يكن التصعيد لحرب ١٩٦٧ مدروسا دراسة كافية. وبالرغم من أن عبدالناصر كان يتمتع برؤية استراتيجية شاملة تشمل العوامل السياسية والعسكرية بكل جوانبها، فإن الصراع الخفى الذى كان يدور بين السلطة السياسية لعبد الناصر و بين عبد الحكيم عامر كسلطة عسكرية على قمة قيادات القوات المسلحة كان يؤثر بشكل كبير على القرارات السياسية فى ذاك الوقت حتى كان القرار المتسرع بدخول الحرب، وللأسف لم تدرك السلطة فى مصر خطأها فى اتخاذ قرار الحرب إلا بعد فوات الأوان.

وجاء فى الحديث المسجل للفريق «الشاذلى» عن حرب ١٩٦٧م:

إنه تلقى الأوامر بحشد القوات للاستعداد للحرب وتم دفع قواتنا إلى سيناء لتتمركز قوات «الشاذلى» فى المنطقة الشمالية من سيناء، ثم تلقى بعد ذلك بأيام أوامر بالانتقال إلى الجنوب، وبعدها بأيام أخرى أوامر جديدة بتغيير موقعه إلى موقع جديد، وبين كل موقع وآخر عشرات وأحيانا مئات الكيلومترات كان يقطعها «الشاذلى» بقواته فى صحراء سيناء ذهابا وإيابا عدة مرات؛ مما أدى إلى إهدار كبير للقوات والمعدات والوقود، وشعر اللواء «الشاذلى» وقتها بمدى التخبط فى قرارات القيادة التى كان يتلقى منها الأوامر، بعدها صدر القرار بتشكيل مجموعات للعمليات الخاصة، وكانت إحداها تحت قيادة اللواء «الشاذلى» وأطلق عليها (مجموعة الشاذلى) وكان قائده فى سيناء هو الفريق صلاح محسن، وتمركزت مجموعة «الشاذلى» فى خط المواجهة الأول مع العدو على مسافة ٢٠ كم من الحدود الدولية مع فلسطين وذلك بعيدا عن الطرق الرئيسية المرصوفة، ولم يكن لدى «الشاذلى» قوات تكفى لمهمته الخطرة حتى حدث ماحدث يوم ٥ يونيه عام ١٩٦٧م.

مفاجآت ٥ يونيه الأليمة.

فى صباح ٥ يونيه وفى السادسة صباحا حملت «الشاذلى» طائرة هليوكوبتر من موقعه فى سيناء إلى مطار فايد حيث التقى بقادة المحور الشمالى والجنوبى والأوسط فى سيناء وبعض القادة الميدانيين المعاونيين

ليلتقوا بالمشير عامر ليطلعهم على تفاصيل خطة الهجوم على إسرائيل، وبينما كان القادة فى انتظار وصول المشير سمعوا دوى انفجار هائل وبعده بلحظات قليلة كان انفجار آخر فإذا بمطار فايد - المجتمعين فيه - قد تم ضربه، فاعتقدوا أن مطار فايد وحده هو الذى تم ضربه، وعرفوا أن الحرب قد بدأت فى الوقت الذى كان فيه المشيرعامر لازال يحلق بطائرته فى الهواء ولم يصل إليهم بعد ولايوجد أى قائد من قادة الجيش فى موقعه بين قواته.

ويروى «الشاذلى» عن حال جيشنا فى سيناء بدون قادته فى ذلك اليوم العصيب:

بعد ضرب المطارات أصبح الجيش فى سيناء بدون قيادة، كأنه جسد بلا رأس، والحمد لله أن العدو لم يتسرب إليه خبر اجتماع القادة فى مطار فايد، فلو علم العدو لأصابهم جميعا بضربة واحدة فيصاب جيشنا كله بالشلل التام ولأربكت المفاجأة الجميع، ولم يكن أمام القادة من خيارات إلا العودة فورا إلى قواعدهم وجنودهم فى سيناء بالسيارات، ليقطع «الشاذلى» قرابة ١٢ ساعة بالسيارة فى صحراء سيناء حتى وصل إلى موقعه فى المحور الجنوبى المواجه للعدو قبيل المغرب، ١٢ ساعة مدة طويلة أن تقضيها قواتنا فى سيناء بلا قيادة، مكشوفة للعدو فى الصحراء بلا غطاء جوى والعدو يمرح فى سمائنا فوقهم بطائراته ولايجد أى قوة تتصدى له حتى وجد «الشاذلى» قواته (مجموعة الشاذلى) فى

حالة استنفار يترقبون وصوله بفارغ الصبر بعد أن أغارت عليهم القوات الإسرائيلية فى أكثر من محاولة، ووقتها لم يكن لدى «الشاذلى» أية خطة هجومية يتبعها بعدما انفض لقاؤهم بالمشير من قبل أن يبدأ، وكذا لم تحدث مناقشة لأى خطط هجومية، وزاد من الأمر صعوبة على «الشاذلى» انقطاع اتصاله بالقيادات العليا فى سيناء ولم يكن يدرى ماذا يدور فى الأجواء من حوله.

لحظات عصيبة اعتصر قواتنا فيها القلق بعدما فقدت الغطاء الجوى الذى من المفترض أن يحميها من العدو، وفقدت الاتصال بالقيادات العليا، فلم يكن أمام «الشاذلى» من حيلة يهتدى بها ليعرف مايدور من حوله إلا الاستماع إلى الإذاعة المصرية ليتبين الموقف، فإذا بكل بياناتها تبشر بالنصر برغم الحالة المزرية التى يعيشها «الشاذلى» وقواته، فأدار المؤشر لإذاعة العدو ووجدها تعلن عن بدء الزحف داخل الأراضى المصرية، واستمع «الشاذلى» فى ذهول إلى نداءات العدو لسكان المناطق المصرية التى اقتحموها فى سيناء تطلب منهم رفع رايات الاستسلام، فازداد «الشاذلى» قلقا عندما اتضحت له حقيقة الكارثة التى تمر بها مصر وخاصة أنه كان فى عزلة تامة عن باقى القيادات، وبحكم موقعه كان «الشاذلى» هو الأقرب لأرض العدو منها إلى طريق العودة، وكانت مجموعة الشاذلى بلا طيران يحميها وبدون أسلحة مضادة للطائرات تتصدى بها للعدو، وكان عدوه فى هذه اللحظات الرهيبة هو

الطيران الإسرائيلي، حاول «الشاذلي» أن يحتفظ بهدوئه حتى يتسنى له تدبير الأمر ليتمكن من حماية مجموعته من الطيران الإسرائيلي فلم يجد أقرب إليه من منطقة جبلية داخل حدود فلسطين أرض العدو الإسرائيلي، وفي قرار جريء قرر «الشاذلي» أن يتحرك شرقا إليها ليحتمي بجبالها من العدو في عقر داره في فلسطين.

فبدأ التحرك بقواته ليلاً ليحميه ظلام الليل من طائرات العدو، حتى استقر بمنطقة تقع بالقرب من بئر للماء ليعسكر بقواته هناك في بطن جبلين فيصعب فيها على الطيران الإسرائيلي أن يراه، وحتى لو حدث ورآه العدو سيصعب عليه أن ينال منه، لأن سرعة طائرة العدو لن تتمكن من التوقف لضرب مجموعة «الشاذلي» فلن تصل ضرباتها إليها وهي مختبئة بين جبلين، واشتهر «الشاذلي» في الأوساط العسكرية بجرأته وبطولته في حماية قواته من طائرات العدو في حرب يونيه ١٩٦٧م.

قضت مجموعة «الشاذلي» ليلة عصيبة في حضن الجبل في أرض العدو تحذره وتترقب انتقامه! واللواء «الشاذلي» مع ضباطه وجنوده يتابعون إذاعة العدو وأخبار انتصاراتهم التي كان لها وقع مؤلم عليهم، في الوقت الذي كانت فيه الإذاعة المصرية وسيلة المعرفه الوحيدة تعلن أنباء بعيدة تماما عن الحقيقة.

وكان يوم ٧ يونيه يوما رهيبا بتحدياته لمجموعة «الشاذلي»عندما كشف الطيران الإسرائيلي مكانه وحاول ضرب قواته أكثر من مرة ليُعلم «الشاذلي» أن قواته مرصودة من العدو الإسرائيلي، لكن «الشاذلي» كان

مطمئنـا بعجز العدو عن النيل منه ومن قواته حتى لو كان يراه ويرصد مكانه، وفى نفس اليوم ٧ يونيه عصرا تلقى «الشاذلى» أوامر من القيادة العليا فى القاهرة بأن قواتنا فى سيناء قد انسحبت جميعها! ولم يتبق إلا مجموعة «الشاذلى» المختبئة فى فلسطين وأمرته بالانسحاب فورا.

.الشاذلى. يواجه أهوال الانسحاب فى الظلام

كانت ليلـة ٨ يونيه من أصعب ليالى حـرب ١٩٦٧م التى بدأ فيها «الشاذلى» الانسحاب بقواته ليلا ليقطع معظم المسافة فى الظلام، تحرك بمجموعته فى حذر شـديد متجنبين الطرق الرئيسية، لأن قواته كانت بلا غطاء جوى ومكشوفة تماما للعدو، والموت يتربص بهم فى كل خطوة وقابل «الشاذلى» بفرقته طوال الطريق أهوالا عظيمة قال عنها «الشاذلى»:

«كانت بجنودنا الجرحى إصابات بالغة على جانبى الطريق تصارع الموت فيحملهم معه ودباباتنا المحترقة بنيران العدو، وعربات الذخيرة كانت لا تزال مشتعلة والشظايا تتناثر منها حولهم فى كل الاتجاهات، وعربات وأسـلحة ومعدات قضت عليها نيران العدو تماما حتى إن دخان احتراقها المتصاعد فى الهواء من حولهم كان يزكم الأنوف».

كل ذلك كان يثيرالحسـرة والألم فى نفس «الشاذلى» وهو يرى جثث جنودنا وضباطنا التى فتك بهم عدو شرس فحولها إلى أشلاء على أرض سيناء، والطيران الإسـرائيلى يحوم فوق رءوسـهم والموت يلوح لهم فى كل شـبر فى الظلام، حتى ظهر أول ضوء لبزوغ الفجر فكشفهم للعدو،

وما كان أمامهم ليصلوا إلى شرق الإسماعيلية إلا ٩٠ كم وهنا بدأ طيران العدو يهاجمهم بشراسة، فالعدو كان يراهم فى وضح النهار وينتقى مايدمره من معداتهم فكان يضرب الطرق حول قوات «الشاذلى» ليشل حركتها ويكبدهم خسائرهائلة وطال بهم الطريق والشعور بمرارة الهزيمة والانسحاب من سيناء يعتصر قلوبهم وهم يتركون جزءا من أرض الوطن الغالى فى قبضة العدو ليرتع فيها كيف يشاء ليخرجوا منها مهزومين على أرضهم.

بهذه المشاعر الأليمة كان «الشاذلى» يقطع طول الطريق ونيران العدو فوق رءوسهم بما تبقى معه من جنود ومعدات بعد الفقد الهائل للمعدات والقوات طوال طريق الانسحاب حتى وصل إلى المعابر عند قناة السويس بعدما فقد الكثير من معداته، وكانت (مجموعة الشاذلى) هى آخر وحدة عادت إلى أرض الوطن وأمارات الألم ومرارة الهزيمة ترتسم على وجوههم، وكان فى انتظارهم ضباط سلاح المهندسين عند البر الغربى ينتظرون عبورهم ليقوموا بنسف المعابر قبل أن يلحق بهم العدو، وكانت مجموعة «الشاذلى» هى آخر مجموعة عادت بدروس كثيرة عن الحروب وأهوال الهزيمة فى ١٩٦٧م ودفع الجيش ومعه الشعب ثمنا باهظا للقرارات الخاطئة حول الحرب لقياداتنا فى ذاك الوقت.

وبعودة مجموعة «الشاذلى» أسدل الستار على آخر معارك نكسة يونيه ١٩٦٧م، فماذا كانت المهمة التى تنتظر «الشاذلى» فيما بعد؟